الأدب الصُّهيوني
وتضليل الرأي العام

المهندس عدنان الرفاعي

الأدبُ الصُّهيونيُّ هو أدبٌ سياسيٌّ عنصريٌّ ، يستمدُّ صُوَرَهُ المتطرِّفةَ وأهدافَهُ العُدوانيّةَ من تطرّفِ الفكرِ اليهوديِّ الذي تمّتْ صياغتُهُ حَسْبَ أهواءِ الذين حرّفوا بعض جوانب الديانةَ السماويّةَ التي أُنزلتْ على موسى عليه السلام ، باتّجاهِ الفكرِ اليهوديِّ المتطرّف ..

.. والفكرُ الصُّهيونيُّ الذي زَرَعَ في أذهانِ مُعتنقيه فكرةَ التفوّقِ العُنصريِّ على كلِّ شعوبِ الأرضِ ، يدَّعي المَسْكَنَةَ والذُّلَّ ، لتبريرِ مَسْلَكِ الإجرامِ الذي سلَكَهُ ، كنتيجةٍ لتفاعلِ النفوسِ الخَرِبَةِ الذليلةِ مع فقْدانِ الشعورِ بالأمن ..

فالأدبُ الصُّهيونيُّ كان مرآةً تعكسُ حقيقةَ الفكرِ الصُّهيونيِّ ، الذي كان بدورِه مرآةً تعكسُ حقيقةَ التطرّفِ الدينيِّ اليهودي ..

ونتيجةً لهذا الفسادِ الفكريِّ بدتْ صورةُ اليهوديِّ كريهةً لدى كلِّ المجتمعاتِ التي عاشَ فيها اليهودُ ، ولدى كلِّ من عَرَفَ دسائسَهُ ومكائدَهُ .. وقد أُلِّفَتْ أعمالٌ أدبيّةٌ كثيرةٌ تعكسُ كراهيّةَ الشعوبِ لليهوديّةِ فكراً وسلوكاً .. ومن أبرزِ هذه الأعمالِ :

- مسرحيّةُ تاجرِ البندقيّةِ لـ : وليم شكسبير ..
- حكايةُ الراهبةِ للشاعرِ : جيوفري تشوسر ..
- مسرحيّةُ المُومِسِ الشريفةِ لـ : توماس ديكر ..
- روايةُ أوليفر تويست للكاتبِ : تشارلز ديكتر ..

.. والحركةُ الصُّهيونيّةُ أدركت هذه الكراهيةَ فراحتْ تسعى إلى تغيير هذه الصورةِ ، عَبْرَ الانخراطِ في المجتمعِ الغربيِّ ، وعَبْرَ ممارسةِ كلِّ الأساليبِ غيرِ الأخلاقيّةِ لشراءِ الأقلامِ والضمائر ، ولتشويهِ الحقائقِ وقلبِها رأساً على عقب .. فالحركةُ الصُّهيونيّةُ عَزَفَتْ على وَترِ الاضطهادِ ، وابتزّتْ عواطفَ الناسِ نحو اليهودِ ، لإبرازِ اليهوديِّ كمضطَهَدٍ مسحوقٍ يجبُ تعويضُهُ عمّا ألَمَّ به ..

وهكذا .. فقد استطاعَ اليهودُ أنْ يُوهِموا المجتمعَ الغربيَّ بشكلٍ عامٍّ والأمريكيَّ بشكلٍ خاصٍّ ، أنّهم جزءٌ من هذا المجتمعِ ، ومن ثقافتِه ، وذلك عَبْرَ مجموعةٍ كبيرةٍ من الصُّحُفِ والمجلّاتِ التي أداروها في تلك المجتمعاتِ ، فتمّ تسويقُ الأدبِ اليهوديِّ على أنّه متّصلٌ بالثقافةِ الغربيّةِ ، وليس مستقلاً عنها ..

وهكذا تمّ قَلْبُ صُورةِ اليهوديِّ الشرّيرِ ، لدرجةٍ أصبحَ فيها بعضُ كتّابِ الغربِ يتمنَّوْنَ لو كانوا يهوداً ، فها هي الكاتبةُ اليزابيث هاردويك تقولُ : [حتى عندما كنتُ طالبةً في بلدي (كنتاكي) تملكتني الرغبةُ في نُشدانِ أن أُصبحَ مثقّفةً يهوديّةً في مدينةِ نيويورك] ..

ولكنّ حِيَلَ اليهودِ وتزييفَهُم للحقائقِ لم تنطلِ على جميعِ الناسِ ، فقد بقيَ بعضُ الكتّابِ المتنوّرين وبعضُ الناسِ الأحرارِ ، بعيدين عن تأثيرِ المدِّ الصُّهيونيِّ .. فها هي الكاتبةُ (كاترين آن بورتر) تكتبُ عام (١٩٦٢) م ، في نسخةٍ من كتابِ ((صورة اليهودي)) وهو من تأليف : ((ألبرت ميمي)) : [كلُّ إنسانٍ فيما عدا اليهودَ يعلمُ أنّ اليهودَ ليسوا شعبَ اللهِ المختارَ ولكنّهم جماعةٌ من السُّخَفاءِ والمحتالينَ والأدعياءِ وصنّاعِ الضجيج] ..

.. وبعد أن تمكّنتْ الصُّهيونيّةُ من قَلْبِ الحقائقِ في الثقافةِ الغربيّةِ ، بدأتْ مرحلتَها التاليةَ التي كانتْ النتيجةَ المدروسةَ مُسبقاً للحلقاتِ السابقةِ لها .. هذه المرحلةُ هي الدعوةُ العلنيّةُ إلى الاستيطانِ في فلسطينَ العربيّةِ ، والبَدْءُ بتنفيذِ ذلك ، لإقامةِ الوعدِ التوراتيِّ المزعومِ فوق أرضِها ، وذلك بقتلِ أصحابِها وتشريدِهم ..

وقد قدّمتْ الصُّهيونيّةُ مشروعَها الاستيطانيَّ العُدْوانيَّ هذا على أنّهُ أمرٌ يريدُهُ اللهُ تعالى ، ليس لحلِّ مُشكلةِ اليهودِ ، وإنّما ليصبحَ اليهودُ شعباً مُقدّساً ، ولِيَكُونَ الكيانُ اليهوديُّ أداةً في يدِ الخالقِ .. وقد لخّصَ الحاخامُ (يهودا أميتال) ذلك بقولِه :

[إنّ الصُّهيونيّةَ لا تبحثُ عن حلٍّ لمشكلةِ اليهودِ بتشييدِ دولةٍ يهوديّةٍ ، وإنّما بتشييدِ دولةٍ هي أداةٌ في يدِ الخالقِ الذي يعدُّ شعبَ إسرائيلَ لا ليصبحَ أمّةً مِثْلَ الأممِ ، وإنّما ليصبحَ شعباً مقدّساً ، شعبَ اللهِ الحيَّ ...] ..

.. وهكذا يُصبحُ اغتصابُ الأرضِ العربيّةِ ، وتشريدُ أهلِها منها ، وقَتْلُهُم ، حَسْبَ الزعمِ الصُّهيونيِّ ، أمراً إلهيّاً ، يُخالِفُ الخالِقَ وأوامِرَهُ من يخالِفُهُ .. يقولُ (دافيد بن غوريون) :

[إنّ أهمَّ ركنٍ من أركانِ اليهوديّةِ هو الارتباطُ بأرضِ الميعادِ ، وإنّ اليهوديَّ الحقيقيَّ هو الذي يعودُ إليها] ..

والأفكارُ الصُّهيونيّةُ هذه ، نتيجةٌ طبيعيّةٌ لما تمّ تلفيقُهُ في التوراةِ وحسابُهُ نُصوصاً مقدّسةً مِنَ السماءِ .. فما تُمارِسُهُ الصُّهيونيّةُ ليس أكثرَ من ترجمةٍ حرفيّةٍ على أرضِ الواقعِ للنصِّ التالي من سفرِ العددِ (٣٣-٥٤) :

[وإنْ لَمْ تطرُدوا سكّانَ الأرضِ من أمامِكُم يَكُنْ الذين تَستَبْقونَ منهمْ أشواكاً في أعْيُنِكُمْ ومناخِسَ في جوانبِكُمْ ، ويضايقونَكُمْ على الأرضِ التي أنتمْ ساكنونَ فيها] ..

وقامَ الأدبُ الصُّهيونيُّ بدورٍ كبيرٍ في إلهابِ الشعورِ العُدْوانيِّ الهادفِ إلى تجميعِ اليهودِ في فِلسطينَ العربيّةِ ، عن طريقِ رَبْطِ هذا العملِ العُدْوانيِّ بأمرٍ مُقدَّسٍ يُريدُه اللهُ تعالى ..

فها هو (بياليك) في قصيدته (آخرُ موتى الصحراءِ) يُذكِّرُ اليهودَ بسنيِّ التيهِ ، ويدعوهُمْ للاستقرارِ في بلادٍ تحضُنُهُمْ ، وبأنّ القوّةَ سبيلُهُم إلى ذلك :

قُوموا تائهي الصحراءِ ، اخْرُجُوا من القفراءِ
ما زالتْ الطريقُ طويلةً

ما زالتْ الحربُ عظيمةً
كفاكُمْ تحرُّكاً ، تشرُّداً في الأرضِ القاحلة
وأمامَكُمْ طريقٌ كبيرةٌ مُمتَدَّةٌ، واسعةٌ ،
لأربعينَ سنة فقط نتيهُ بينَ الجبال
وفي الرمالِ دفنّا ستَ مائة ألفِ جُثَّةٍ
لنْ تُوْقِفَنا جُثَثُ الضعفاء

ويدعوهُم (بياليك) إلى أرضِ الميعادِ المزعومِ ، محذِّرَهُم من رَفْعِ أصواتِهم قَبْ لَ تحقيقِ هدفِهِم ، وللعملِ بسريّةٍ للوصولِ إلى الهدفِ المنشودِ ..

قُومُوا إذن ، أيّها التائهون
غادروا القفراءَ
كي لا تُغيضوا بِخُطُوَاتِكُمْ الصحراءَ
ونائميها
كلُّ شخصٍ يَسْمَعُ بقلبه صَوْتَ خُطَاهُ !
شخصٌ بقلبِهِ ، يَسْمَعُ صَوتاً يقولُ :
اذْهَبْ إلى أرضٍ جديدةٍ أنتَ اليومَ ذاهبٌ !

وساهَمَ الفِكْرُ الصُّهيونيُّ – عَبْرَ الشعرِ وغيرِهِ – في تصويرِ اليهودِ بأنّهم غُرَبَ اءُ ومُضطَهَدون ، فها هي الشاعرةُ الصُّهيونيّةُ (حدفاه هركابي) تقولُ :

ربّاه ..
الظلمةُ إلى هذا المدى مُوْحِشَةٌ
أُفُقٌ أسودُ كلوحةٍ على جَبيني ..
كم عليّ أن أسْقُطَ
كم عليّ أن أتراجَعَ
فما أكثرَ الكواكبَ ضِدّي

وتقومُ بتصويرِ اليهودِ على أنّهم شعبٌ بلا أرضٍ ، وأنّ الحاقدينَ قاموا بط ـردِهم ولا مكانَ يعودونَ إليه :

وبعد ذلكَ من هُنالكَ
طَرَدُوني ..
هكذا .. بأقصى حِقْدِهِمْ
أبْعَدُوني
وأنا ..
لَمْ يَعُدْ لي ما أرْجِعُ إليه
لا مدينةَ أبعثُ فيها حياتي
ولا رُقْعَةَ أرضٍ
لدفني في مماتي

.. والمسرحيّاتُ الصُّهيونيّةُ وُظِّفَتْ هي الأُخرى لإلهابِ الشعورِ اليه ـوديِّ نح ـو الهجْرَةِ إلى فلسطينَ ، ونحو تضليلِ الرأيِ العامِّ العالميِّ بأنّ اليهودَ مظلومون ، وبالتالي لا بُدَّ من مُساعَدَتِهم للعودةِ إلى أرضِ الميعادِ المزعومِ .. فالكاتبـ ـةُ الصُّ ـهيونيّة (ليئ ـاه غولدبرغ) تصوِّرُ في مسرحيّةِ (صاحبة القصر) فتاةً يهوديّةً اسمُها (لانا) تع ـيشُ في أوروبا وتعاني من الإحباطِ والاضطهادِ ، ولا يأتيها الخلاصُ إلاّ بالـ ـذهابِ للع ـيشِ في إسرائيلَ ، وذلك عَبْرَ حوارٍ بينها وبين من يريدُ إنقاذَها وتخليصَها ..

لانا : أنا لا أريدُ العيشَ هنا ، لا أريدُ العيشَ بشكلٍ عامٍّ ، أريد أن أموتَ ..

دوراه : أتينا لِمُساعَدَتِكِ في الخروجِ من هنا ، سـ ـافري مَعَنَـ ـا إلى إسـ ـرائيلَ ، وسنرحِّبُ بكِ هناك ، ستعملينَ وتتعافينَ وتُصْبِحينَ حُرَّةً ورائعةً مِثْلَ كُلِّ الشباب ..

وقد وُظِّفَتْ هذه المسرحيّةُ وغيرُها لإثارةِ الرأيِ العامِّ الع ـالميِّ ضـ ـدَّ الألمـ ـان ، والتأثيرِ في الفِكْرِ الأوروبيِّ ، وبالنهايةِ للابتزازِ ، حتى لليهودِ أنفسِهم ، وبالتالي لدفْعِهِمْ نحو الهجرةِ إلى فلسطينَ ..

ولم يَتوانَ الفِكْرُ الصُّهيونيُّ عن تصويرِ اليهوديِّ بالضعيفِ المُضْطَهَدِ الذي سـ ـلبَه أصحابُ الهلالِ (المسلمون) وأصحابُ الصليبِ (النصارى) كلَّ شـ ـيءٍ ، حَسْـ ـبَ الزعمِ الصُّهيونيِّ ، وهاهو الشاعرُ الصهيونيُّ (أوري تسفي غرينبرغ) في قصيدتِه (في تلك الليلة) يقولُ :

هنا السَّهْلُ

هنا مقرٌّ كارهي دافيد

هنا كما في ليلِ المستنقعات

هنا دُودةُ خَشَبٍ .. تَعَفَّنَ

هنا التفكيرُ بالفكرةِ :

مدينةُ دافيد لأبناءِ الهلالِ والصليبِ ..

لا جُزْءَ لنا فيها – كلُّ صلاةٍ .. وكلُّ مالٍ .. هَبَاءٌ ..

وحتى تَكْتَمِلَ حَلقاتُ الفكرِ الصُّهيونيِّ في استلابِ الأرضِ العربيّةِ وطردِ أهلِها منها وقتلِهم وإقامةِ الكيانِ المُغْتَصبِ فوقَها ، لا بُدَّ من تشويهِ صُورةِ العربيِّ ، وخَلْقِ تَبايُنٍ بينه وبين اليهوديِّ ، ففي حين يُصوَّرُ العربيُّ على أنّه عَدُوُّ التقـ ـدّمِ والازدهـ ـارِ ، يُصوَّرُ اليهوديُّ على أنّه ابنُ اللهِ تعالى والمُنْقِذُ والمُخَلِّصُ والحضاريُّ ..

يقولُ الكاتبُ الصُّهيونيُّ (يشعيا هو بن بورات) في مقالٍ له بعنوان (الصُّهيونيّةُ حركةٌ أخلاقيّةٌ أم عنيفة) نَشَرَتْهُ صحيفةُ يديعوت أحرونوت ... يقولُ مُـ ـبرِّراً فَشَـ ـلَ العربِ في التقدّمِ والازدهار : [رُبَّما حدثَ ذلـ ـك بسـ ـببِ المسـ ـتوى الحضـ ـاريِّ والاقتصاديِّ والإنسانيِّ لأولئك العربِ ، كانوا حُثالةَ البشريّةِ] ..

وهكذا .. تمّ تصويرُ العربيِّ بالخائنِ والكاذبِ والمنافقِ والمرائي والـ ـذي تُوَجِّهُ لـ ـهُ غريزَتُهُ الجنسيّةُ ، والذي يُحبُّ المالَ ويَحْـ ـنُثُ بوعودِه ..

يقولُ (نتان شاحم) في مجموعتِه القصصيّةِ (خريفٌ أخضر) عن أسيرٍ عـ ـربيٍّ وَقَعَ في قبضةِ اليهودِ ، وذلك على لِسانِ الجنديِّ اليهوديِّ الذي أسرَهُ :

[بصعوبة بالغة منعْتُ الأسيرَ من تقبيلِ يَدَي ، ولقد نَفَّذَ كلَّ ما أمرتُهُ به ، لقد أحضَرَ الماءَ ، كما كانَ يُنفّذُ كلَّ ما أطلبُهُ منهُ ، وكان يعودُ في كلِّ مرّةٍ كالكلبِ العائدِ إلى كوخِهِ] ..

فالعربيُّ كما يُصوِّرُهُ (نتان شاحم) جبانٌ خائنٌ يخونُ أصدقاءَه ، لأجلِ أنْ ينالَ إعجابَ آسرِهِ ، ولذلك يقولُ : [..... وبينما كان يسيرُ في الطريقِ ، يَدوسُ فجأةً على أحَدِ الألغامِ ، ولقد أحسنّا معه صُنعاً عندما أطلقنا عليه الرصاصَ ، وأحرقنا جثّتَهُ فيما بعد] ..

وفي روايةِ (الأمس الأوّل) يَصفُ (شموئيل يوسف عجنون) العربَ بأنّهم : [لا كرامةَ لهم ، وأنّهم قتلةٌ ، وهم سببُ خرابِ (أرضِ إسرائيلَ) .. مُزعجون وقذرون ، يَخْشَوْنَ اليهودَ ، يكرهون الحضارَةَ ، يُشبهون الكلابَ في جلستِهم] ..

ولم يُخْفِ الصَّهاينةُ عداءَهم وكُرهَهُم للعربِ ، بل راحوا يصوغونَ ذلك أشعاراً وروايات ومسرحيّات .. فالصُّهيونيُّ المتطرِّفُ (أفرايم سيدوم) يقولُ في قصيدتِه :

يا أطفالَ صُورٍ وَصَيْدا
إنّي أتهمُكم .. ألعنُكم
لأنّكم مخرّبون
ستنامون محطّمي العظامِ
في الحقولِ والطُّرُقَاتِ
لا تسألوا لماذا..
فإنّه العقَابُ
والآن حانَ عقَابُكُم
كلُّ النساءِ في صَيْدا وصُورٍ
كلُّ الأمّهات .. كلُّ الحواملِ
كلُّ المُسنّينَ وكلُّ الأرامِلِ

هانحن قادمون لنُعَاقِبَكُم

لنقتصَّ منكم ..

والشاعرُ الصُّهيونيُّ (يهونتان غيفن) يرسمُ حقيقةَ التطرُّف الصهيونيِّ ، وحقيقةَ الحقدِ والإجرامِ الذي تدعو إليه وتمارِسُهُ الصُّهيونيّةُ ، وذلك في قصيدته (دماءُ صبرا وشاتيلا) :

هناك في مقهى بكريات شمونة

كان جُمْهُورٌ غفيرٌ يَجْلِسُ أمامَ الشاشة الصغيرة

رأينا الأسرى الفلسطينيّينَ في طريقِهم إلى المعتقلِ

صرخَ الجُمْهُورُ

صرختُ أنا أيضاً

اقتلوهم !

احصدوهم

اذبحوهم

اقتلوهم ! ..

نريد أن نرى دماءً في صبرا وشاتيلا ...

وهكذا .. فالأدبُ الصُّهيونيُّ ظلالٌ لما تمّ تلفيقُهُ إلى التوراة ، وحسابُهُ نصوصاً مقدّسةً ، فدائماً يُشْعِلُ كراهيَّةَ الآخرين في نفوسِ اليهودِ ، ويُعَرِّي حقيقةَ الفكرِ الصُّهيونيِّ (اليهوديِّ بما تعني الكلمة) ..

فالعربيُّ – كما يراه – اليهودُ ، وبالتالي الصَّهاينةُ ، مرضٌ وبلاء .. وهاهو الشاعرُ الصُّهيونيُّ (شلومو ابن شوشان) في قصيدته (ظننتُ أنّك عدوّي) يقولُ :

ظننت أنّك عدوّي

لأنّك بلاءٌ أسودُ ومرضٌ

لكنّ لِعْبَتَكَ فَسَدَتْ وَرَخُصَتْ

حامت فوقي الأكاذيبُ

شبيهةً بسربِ غربان

ولكنَّ بعضَ المهاجرين الذين كانوا ضحيّةَ الخُرَافةِ الصُّهيونيّة ، اكتشفوا أوهـ ـامَ الصُّهيونيّة ، بعد أنْ صَدَمَهُم الواقعُ ، فقد اكتشفوا أنّهم ليسوا أكثرَ من أدواتٍ لخدمةِ المشروعِ الصُّهيونيِّ .. ففي قصيدةِ (هذا الضوءُ الغريب) يقولُ (موشيه دور) :

هذا الضوءُ الغريبُ

يغسلُ عينيَّ بالنسيانِ

سبتمبر ..

لا

فقط الطائراتُ تَحْفُرُ دُروباً ثابتةً ..

في فراغٍ يُدعى سماءَ

وطيورُ الكركي .. كجميعِ الطيورِ

تَرْفُضُ التدجينَ

وما فتئ الأدبُ الصُّهيونيُّ (إنْ جازتْ عليه كلمةُ أدب) يُصوِّرُ العربيَّ بالمتخلِّف حضارياً ، وغيرِ القادرِ على استيعابِ تكنولوجيا العصرِ ، وبمقابلِ ذلك يُصوِّرُ اليهوديَّ بمنتجِ الحضارةِ وصانعِها .. فالصهيونيُّ (مناحيم تلمي) يقـ ـولُ في تصـ ـويرِه لفتـ ـاتين صهيونيّتين قامتا بقصفِ القوّاتِ العربيّة بدقّة : [لو عَرَفَ عدوُّنا أنّ الـ ـذي يَقْصِـ ـفُهُ فتاتانِ عبريّتان لكان أُغمِيَ عليه من فِرْطِ الخَجَلِ] ..

وفي قصّةٍ بعنوان (جيوشُ العدوِّ) لـ ـ (اسحق سديه) يقولُ :

[تقدّمَ العربُ ودون مقاومةٍ في قريةٍ عربيّةٍ ، لكنّ هذا الأمـ ـرَ لم يمـ ـنعْهُمْ مـ ـن الإعلانِ عن انتصاراتهم :

(جيشُنا العظيمُ دخلَ بئرَ السبعِ ، جيشُنا العظيمُ احتلّ جنين ، وِحْداتُنَا استولت على اللُّدِ والرَّملةِ ، وهكذا دَواليك ...) ..

أخفوا عن شعبِهم ، عمداً وعن سَبْقِ إصرارٍ ، أنّ كلَّ هذه الأماكنَ كانت قرىً عربيّةً ، ولمْ تكن ثَمّةَ حاجةٌ لاحتلالِها، ولكنْ إذا كانت انتصاراتُهم بغيرِ جدوى ووهميّةً بغالبيّتِها ، فإنّ الانتكاساتِ التي مُنِيُوا بها لدى هُجُومِهِم على المراكزِ اليهوديّةِ كانت كبيرةً جداً ..

القادةُ العربُ ، الذين كانوا واثقين بالنصرِ علينا ، خلالَ أُسبوعٍ أو أُسبوعين ، فوجِئوا لرؤيةِ انتكاساتِهم ، ذلك لأنّ هناك فرقاً بين جنديٍّ يذهبُ إلى القتالِ لمجرّدِ أن حمّلوهُ بندقيّةً ، وألبسوه بِزّةً عسكريّةً وأرسلوه بقوّةِ الأوامرِ ، وجنديٍّ يدافعُ عن أرضِه .. ففي عُرْفِ القادةِ العربِ أنّ الجنديَّ ينبغي ألاّ يفكّرَ ، وأن يكونَ جوابُهُ الوحيدُ : حاضِر سيّدي] ..

.. وهكذا نرى أنَّ الأدب الصهيوني هو مرآة تعكس حقيقة التطرّف اليهودي ، وحقيقة تضليل الرأي العام العالمي ، لإيهام الناس بأنَّهم على حق ، وذلك كأداة – من جملة أدواتهم – لتنفيذ المشروع الصهيوني على حساب الأرض العربيّة ..

والله تعالى وليّ التوفيق

المهندس عدنان الرفاعي